من الكرادة الى جرمانا ومن الأعظمية الى القدسية

عن جريدة الحياة اللندنية

من الكرادة الى جرمانا ومن الأعظمية الى القدسية.. عراقيون ينسجون في الشام مجتمعات مؤقتة ومنفتحة على أهل الدار ويروون حكايات بغداد الدامية على أبواب السفارات الأوروبية هاربون على عجل من رعب الموت اليومي في بغداد الى فسحة أمان وفرتها دمشق برحابة صدر. تلمحهم في كل لحظة ينقلون أمتعتهم من مكان سكن موقت الى آخر ويتناقلون حكاياتهم عن بغداد التي يهجرها أهلها الى المجهول.

لا إحصاءات رسمية دقيقة في سورية كما في العراق عن حجم المهاجرين العراقيين، وان كانت تقارير سورية أشارت أخيرا الى هجرة نحو ٦٠٠ ألف عراقي الى "الشام" فيما ترى إحصاءات اخرى ان العدد ربما تجاوز المليون ونصف المليون نازح يحاول بعضهم قضاء اشهر بانتظار فرج عراقي بات صعب المنال ويبحث آخرون عن منفذ هجرة الى اوروبا يكلف في العادة ثروة طائلة كافية لحياة هنيئة في البلد الام. زاحم الضيوف سكان البلد غير المتذمرين واختاروا تشكيل مجتمعات في الأحياء المختلطة نقلوا إليها أصناف الطعام العراقي وأسماء مدنهم ولهجتهم المميزة.

على باب السفارة

لا تخطئ العين صفوفا من العراقيين على أبواب سفارات مختلفة، مصر والإمارات واليمن طلبا لتأشيرة دخول وعلى أبواب سفارات النرويج والسويد وهولندا طلبا للجوء إنساني وحتى امام باب سفارة العراق في دمشق للحصول على جوازات جديدة او تمديد صلاحية القديمة. والمشهد لدى الأخيرة مألوف خصوصا لمن عايش فساد المؤسسات العراقية فالمعاملة "تعرُج" بطبيعتها الولادية لكن سرعان ما تسابق الريح مع مبلغ "إكرامية" لموظف السفارة يبدأ من ٢٠ دولارا ويتصاعد بحسب أهمية الخدمة وسرعتها!.

يقول عباس حاتم الذي أضاع جواز سفره: "مازلت منذ أسابيع أراجع السفارة للحصول على جواز جديد وكان الرد دائما ان السفارة ستمنحك ورقة تأييد للعودة الى العراق وهناك تحصل على الجواز البديل، لكن موظفا همس في اذني اليوم طالبا ٢٠٠ دولار لإكمال المهمة". ويعلق "المبلغ زهيد مقارنة بتكاليف السفر الى بغداد وسيطالبني الموظفون هناك بمبالغ مضاعفة".

"الحياة" حاولت الاتصال بالسفير العراقي في دمشق الذي شغل المنصب أخيرا لكن مدير مكتبه قال إنه لا يلتقي صحافيين "ربما بسبب موقف السفارة من اتهامات المسؤولين في بغداد لسورية بدعم الإرهاب في وقت تستقبل المنافذ الحدودية والمطارات السورية قرابة ثلاثة آلاف نازح عراقي يوميا".

يختلف المشهد قرب السفارة السويدية في دمشق التي فتحت في شكل محدود أبواب قبول طلبات اللجوء من خارجها مفترضة ان المهربين سيتكفلون بمهمة إيصال المهاجرين مقابل تأشيرة دخول تمنح باتفاق بين السفارات وعصابات لنقل المهاجرين غير الشرعيين تنشط في اوروبا وتتحول الى مؤسسات عملاقة.

الحكايات مختلفة أيضا، ويؤكد سمسار فيزا (شنكل) "التعبير المحلي للتأشيرة الأوروبية" ان لا أمل بقبول طلب لجوء من خلال السفارة ويقترح على أحدهم دفع مبلغ ١١ ألف دولار لمنحه فيزا رسمية الى السويد ونقله الى هناك ويبقى عليه ان يمزق جوازه وينتظر موافقة السلطات على طلبه بعد مقابلات تقيس مدى استعداده للاندماج في المجتمع الأوروبي.

أصحاب الخبرة يحذرون الوافدين الجدد من تأشيرة "مضروبة" يروجها السماسرة تاركين ضحاياهم لمصير مجهول في أحد المطارات التي تمر بها الرحلة وعادة ما يكون مطار اسطنبول او كوالالمبور. لكن حالات خاصة يمكن ان تمرر من خلال السفارة في دمشق وهذه تعتمد على حجم الكارثة التي حلت بطالب اللجوء.

احمد الذي قتل أخوه في بغداد على يد الميليشيات وتعرض لتهديد بمغادرة حي الشعب شرق بغداد خرج من مقابلة في السفارة خالي الوفاض. بدا منهكا وضائعا حين عرض على الحاضرين ملف اللجوء، صور لأخيه بعد قتله وأخرى لمنزله الذي أصيب بقنبلة يدوية وثالثة لرسائل تهديد تلقاها وكل هذا لا يجدي.

سمسار اللجوء وهو سويدي الجنسية من اصل عراقي عرض على احمد حلا آخر اذا كان لا يتمكن من دفع تكاليف تأشيرة الدخول. همس في أذنه "سأمنحك صورا لجثة مشوهة بسبب التعذيب وشهادة وفاة عراقية تحدد طريقة القتل والأفضل ان تعرض صورا لعدد من أفراد العائلة تم قتلهم بينهم زوجتك وإذا دفعت اكثر سأمنحك نسخة من صحيفة عراقية تروي أسلوب قتل عائلتك وصورا لهم بعد قتلهم!".

الكرادة والكاظمية والأعظمية

لا يختلف نمط حياة العراقيين في سورية عن سواهم من المهاجرين خارج بلدانهم، لكن سعيهم الى التجمع في مدن محددة، عادة ما تكون في ضواحي العاصمة، لم يقترن بتشكيل جمعيات او ممثليات او جاليات تعكس خصوصيتهم في اشارة الى إقرارهم بالطبيعة المؤقتة والمرحلية لتواجدهم في الشام وإن كانت أحياء مثل جرمانا جنوب دمشق والسيدة زينب غربها والقدسية الى الشمال التي تضم النسبة الأكبر من العراقيين تأثرت بنمط حياة ضيوفها حتى بات العراقيون يطلقون أسماء مدنهم على تلك الأحياء نحو "الكرادة" في اشارة الى جرمانا و"الكاظمية" اشارة الى "حي السيدة زينب" و"الأعظمية" كناية لوصف حي القدسية.

ولعل تشابه نمط الحياة بين تلك الأحياء ومثيلاتها في بغداد بررذلك التماهي الذي لا يشمل من قريب او بعيد الاتجاه المذهبي لسكانيها فالسنة العراقيون يتواجدون في "السيدة زينب" بالنسبة نفسها التي تواجد الشيعة في القدسية. ويعلق مروان الدليمي من أهالي الأنبار ويسكن "السيدة زينب" على ذلك بقوله "العراقيون يتركون خلافاتهم المذهبية على الحدود ويستعيدون هنا ذاكرتهم التي لم يكن لصراعات المذاهب حيز فيها".

بعض المسيحيين العراقيين اختاروا بلدة صيدنايا شمال دمشق مقرا لتجمعهم، ربما لتوفر الكنائس فيها، وان كان آخرون منهم اختاروا حي "البرزا" للسكن فيما انتشرت العائلات الغنية في الأحياء الراقية من دمشق خصوصا حي "المزة" غرب المدينة.

الباجة وقدوري والفلوجة

يقول النازحون العراقيون الذين سبقوا غيرهم الى الشام ان عمان اختارت من العراقيين أشدهم ثراء وضيقت على فقرائهم فيما فتحت دمشق أبوابها للجميع فقدم إليها موظفون وأصحاب مهن وعمال وأساتذة جامعات.

المطاعم العراقية الشهيرة مثل "الفلوجة" و"قدوري" صارت اليوم من معالم جرمانا، والأخير اغلق أبوابه في حي الكرادة وسط بغداد بعد استهدافه على يد انتحاري بداية العام وانتقل الى دمشق ليصبح مكانا لتجمع العراقيين.

يعلق وصفي اللحام من أهالي جرمانا ممازحا: "العراقيون حريصون على ألا يأكلوا سوى من المطبخ العراقي الغارق في الدهون واللحوم (ويستدرك) تصور ان تجد أحدهم يأكل الباجة العراقية فجرا"!. والباجة هي لحمة الرأس لدى المصريين.

لكن استثمار العراقيين لم يقتصر على المطاعم فهناك لافتات لمحال متنوعة كـ "تقليات الحديثي" او "الموسوي للإلكترونيات" او "اهل بغداد للستائر".

ويعتقد الدكتور حمود اللحام ان النمط الاستهلاكي لحياة العراقيين أنعش الاقتصاد السوري في شكل عام وان كان اسهم في رفع الأسعار وزاد حياة الفقراء صعوبة.

ومنذ قدوم العراقيين بأعداد هائلة نشط أصحاب العقارات والمقاولون في حركة بناء لا يكاد يخلو منها شارع في دمشق فيما لجأ أصحاب الأملاك في مدن تجمع الوافدين الى دخول حلبة الاستثمار العقاري سواء بتطوير بناياتهم لتأجيرها ام بتوسيعها لتضم المزيد من الشقق.

وعلى رغم امتناع المؤسسات الرسمية السورية عن منح شهادات تمليك للعراقيين، أوجدت ما يطلق عليه هنا "نظام ضمان الحقوق" الذي يسمح عمليا للعراقيين بشراء مساكن تتوقف إجراءات نقل ملكيتها عند الكاتب العدل ويحق للمتعامل بها بيع العقار وشرائه ما سمح بحركة استثمار عراقية واسعة في مجال العقارات.

لكن مستثمرين آخرين دخلوا مجالات اخرى خصوصا الصناعية منها فيما ظلت الأعمال التجارية الأكثر رواجا وإن كانت طريق دمشق - بغداد محفوفة بالمخاطر.

يقول سعدي عامر وهو تاجر سجاد في سوق الشورجة في بغداد ويقيم حاليا في دمشق "أحاول الاستمرار في تجارتي واستحداث وسائل جديدة للتغلب على المخاطر أبرزها الاتفاق مع قطاع الطرق على منحهم إتاوات ثابتة والاتصال بمجموعات مسلحة معروفة في الأنبار لتوفير الحماية للشاحنات من هجمات عصابات أخرى". ويضيف "المشكلة الأساسية في نقل البضائع اليوم داخل بغداد وليس خارجها، فالمليشيات المسلحة لا تكتفي بمصادرة البضاعة بل وقتل سائقي الشاحنات ومعظمهم من أهالي محافظة الأنبار".

ويكشف عامر عن وسيلة جديدة يلجأ إليها تجار الشورجة اكبر أسواق الجملة في بغداد تتمثل بنقل الحمولة على مرحلتين الأولى تبدأ من سورية وتنتهي على مشارف غرب بغداد حيث يتم تفريغها في شاحنات اخرى سائقوها شيعة الى أسواق الشورجة ومنها الى محافظات جنوب العراق.

عراقيون بلهجة شامية

ولا يتقن الشاميون اللهجة العراقية على رغم اختلاطهم الكثيف بالعراقيين الذين أجاد معظمهم اللهجة السورية، ربما من باب الحاجة الى مجاملة أصحاب الدار، لكن السوريين اخذوا رويدا يفهمون بعض المصطلحات العراقية فما عادوا يتساءلون عن معنى "هواية - كثير" او "جوة - اسفل"... الخ. وإن كانت عبارة "شلونك أغاتي" و"الله بالخير" سبقت العراقيين منذ سنوات الى الشام فلم يعد مستغربا ان يباغتك سائق الأجرة بعبارة "شكو ماكو" قبل ان يسأل كمثل جميع السوريين عن أحوال بغداد وما أصاب أهلها ويدخل في نقاش بات تقليديا عن "الخيانة" و"الاحتلال" و"المقاومة" قبل ان يودعك بعبارة "تكرم عيونك".

د. دوني جورج: وضع الآثار العراقية يزداد سوء

BBC ARABIC.com

بي بي سي

تقدم أحد أشهر الأثريين العراقيين بطلب الى قوات التحالف للمساعدة في حماية المواقع الاثرية في العراق من السرقة. وكان الدكتور دوني جورج الذي كان يتولى منصب رئاسة هيئة الآثار في العراق قد قال إن التراث الانساني والثقافي في بلده يتعرض لعمليات سلب ونهب كبيرة، وأن ما يسرق من العراق ستكون له آثار كارثية في المستقبل. وتشير الادلة الى أن عددا كبيرا من المواقع الاثرية في العراق نهبت وتم بيع محتوياتها في السوق السوداء. ويقول مراسلنا لورانس بولارد انه بعد سقوط بغداد في يد قوات التحالف عام ٢٠٠٣، كان دوني جورج الواجهة الرسمية للمتحف الوطني، يقوم على تنظيم جهود البحث عن القطع الاثرية التي سلبت اثناء الفوضى. وبرغم ذلك فر جورج الى سوريا مؤخرا هربا من تهديدات بالقتل والضغوط السياسية الطائفية، وهو موجود في لندن حاليا لالقاء محاضرة بالمتحف البريطاني حيث يرسم صورة بائسة لمدى الدمار الثقافي بالعراق. ويقول انه في المستقبل سينظر الى سلب تراث العراق على ايدى اللصوص باعتباره متساويا في الخطورة مع الخسائر البشرية المتنامية. ويضيف جورج: "بالنسبة لي، اعتبر الامرين سواء.. نعم، من المهم وقف القتل ووقف السلب والنهب، اذ يبدو وكانك تقتل انسانا وتسرق منزله.. انها جريمة مزدوجة... تقتل انسانا وتنهب وتسرق ثروته وذكرياته وتاريخه."

تكمن المشكلة في العدد الهائل للمواقع الاثرية الغنية التي تنتشر في طول البلاد وعرضها من دون حماية. وقال جورج ان عدد القطع التي سرقت في اعمال حفر غير قانونية تزيد بكثير عن تلك التي سرقت من المتحف. واعرب عن غضبه من ان قوات التحالف تركت المواقع الثقافية للسلب والنهب على ايدى اللصوص الذين توسعوا في عمليات الحفر غير القانونى بشكل غير مسبوق. ويناشد جورج قوات التحالف المساعدة في دعم قوة حماية الاثار المثقلة بالمهام والمحدودة الامكانيات. وبرغم الاهتمام العالمى بموضوع نهب اثار متحف بغداد قبل ثلاث سنوات، يرى دوني جورج ان الوضع الان اسوأ بكثير من ذى قبل بل ويزداد سوءا.

اذا كان هناك حل فعلى العراقيين إيجاده بأنفسهم

THE GUARDIAN

الكارديان

نشرت صحيفة الكارديان في عنوانها الرئيسي: يوم بغداد من القتل الطائفي، خمس سيارات مفخخة و ١٦٠ قتيلا. كما نشرت الصحيفة ايضا صورا لعراقيين يبحثون عن اقاربهم وسط كم من الجثث الملقاة على الارض امام مستشفى مدينة الصدر. وتوقعت الصحيفة ان يكون ملف نزع سلاح المليشيات في قلب المحادثات بين الرئيس الأميركي جورج بوش ورئيس الوزراء العراقي نوري المالكي خلال اللقاء الذي سيجمعهما في الأردن الاسبوع الجاري. وعلى صفحة التحليلات في الجارديان كتب جونثان ستيل مراسل الجريدة في اربيل بالعراق تحليلا بعنوان: "العراقيون وحدهم قادرون على تجاوز هذه الكارثة الوطنية". ويقدم التحليل صورة متشائمة عن مستقبل العراق ويشكك في قدرة ايران او سورية على فعل اي شيء. وحسب وجهة نظر ستيل فان علاقات ايران الحسنة مع قادة المليشات لم تعد تجدي لان هؤلاء القادة انفسهم فقدوا السيطرة على اتباعهم الذين انقسموا فيما بينهم الى عصابات شوارع. ويقول ايضا انه لا ايران ولا سورية تستطيع ملء الفراغ.

ويوضح مراسل الجارديان في تحليله ان العراق اصبح كارثة وليس بين يدي من هم خارجه سوى التفرج على المشاهد المروعة.

وفي ختام التحليل قال ستيل انه اذا كان هناك حل فعلى العراقيين إيجاده بأنفسهم.

تركيبة الكونغرس الإثنية الجديدة

تقرير واشنطن

Taqrir Washington

تقرير واشنطن - توماس جورجيسيان

لا شك أن الكونغرس الأميركي بتشكيله الجديد الذي نتج عن فوز الديمقراطيين واكتساحهم للانتخابات وسيطرتهم على مجلسي الشيوخ والنواب في حاجة إلى قراءة تحليلية سياسية من أجل استقراء الدورة المقبلة للعمل التشريعي.

معرفة تركيبة الكونغرس الجديد تساعد وبدرجة كبيرة في فهم الاتجاهات الجديدة للكونغرس، ولعل أبرز ما يلفت النظر "بالنسبة للمراقبين" هو أن الكونغرس الجديد مازال يحتفظ بطابعه التقليدي المعروف والمتكرر عبر السنين وهو أن "الرجال البيض" يهيمنون عليه، إلا أن بتحقيق الأغلبية للديمقراطيين بعد سيطرة جمهورية استمرت ١٢ عاما، صارت النائبة ناتسي بلوسي "من ولاية كاليفورنيا" رئيسا لمجلس النواب، هي أول امرأة تتولى هذا المنصب الرفيع.

كما أن الانتخابات الأخيرة أتت بـ "٥" من النساء الجدد للكونغرس الجديد ليصل مجموع عددهن إلى ٨٦ امرأة في المجلسين معا.

أما الأقلية السوداء فلم يحدث أي تغيير في عددهم "٤٣" عضوا لأن في الانتخابات الأخيرة خسر "٣" أعضاء وكسب "٣" من الأعضاء بمقاعد في مجلس النواب. ومن هؤلاء الثلاثة كيث اليسون من ولاية مينيسوتا، وهو أول مسلم ينضم إلى الكونغرس. والمحامي البالغ من العمر ٤٣ عاما أشهر إسلامه وهو في الـ ١٨ من عمره وقد حصل على ٥٦ في المائة من أصوات دائرته الانتخابية. ويذكر أن اليسون خلال حملته الانتخابية اهتم بتبنيه لكافة القضايا الخاصة بالحقوق المدنية مثل حقوق المثليين وعدم ممارسة التمييز ضدهم وحق المرأة في الإجهاض. كما أنه لم يجعل من قضية عقيدته أمرا مطروحا في لقاءاته الانتخابية. وقد أثار بعض المعلقين مسألة حلف اليمين وهل النائب اليسون سيؤدي يمينه على الكتاب المقدس كما جرت العادة أم أنه سيؤديه على القران؟ وفي السباق الانتخابي لمجلس الشيوخ لم يحظ أي مرشح أسود بالفوز. وبالتالي بقي السيناتور باراك أوباما من ولاية الينوى السناتور الأسود الوحيد. وهو بلا شك سيكون موضع اهتمام الأوساط السياسية والإعلامية في الفترة المقبلة بسبب ما تردد من طموحات سياسية لهذا النجم الديمقراطي الصاعد، واحتمال خوضه سباق الانتخابات الرئاسية القادمة عام ٢٠٠٨. وهذا التواجد المحدود للسود يطرح من جديد أمرا بالغ الأهمية، وهو أن على الرغم من تنفيذ حملات مكثفة لحث السود على ممارسة العمل السياسي والمشاركة السياسية، ترشيحا وتصويتا في العملية الانتخابية فان نسب التمثيل والتصويت لدى الأقلية السوداء مازالت ضئيلة. وأشار المراقبون لشؤون الكونغرس بأن التغيير أو الانقلاب الديمقراطي الذي طرأ أخيرا قد يعني أن خمسة نواب من السود ونائبا من الهسبانك سوف يتولون رئاسة اللجان في مجلس النواب. والمعروف أن رئيس اللجنة، سواء في مجلس النواب أو مجلس الشيوخ له دوره ونفوذه في تحديد أجندة عمل اللجنة ومتابعتها للقضايا المطروحة و المثارة.

بالنسبة لتمثيل المرأة فان فوز امرأتين من الحزب الديمقراطي بمقعدين في مجلس الشيوخ وصل بعددهن إلى ١٦ امرأة أكثرهن شهرة بلا شك هيلاري كلينتون التي نجحت في الاحتفاظ بمقعدها بعد فوزها الكاسح في ولاية نيويورك. وزوجة الرئيس السابق لها طموح رئاسي "كما يقال" والسنة القادمة سوف تشهد العديد من المناقشات الساخنة حول هذا الملف الحيوي.

في الانتخابات الأخيرة احتفظ السناتور جوزيف ليبرمان بمقعده رغم أن الحزب الديمقراطي تخلى عنه وخاض المعركة الانتخابية بمرشح آخر. فخاض ليبرمان المعركة كمستقل وفاز بمقعد ولايته، كونتكت. عدد اليهود في مجلس الشيوخ الأميركي زاد عقب الانتخابات الأخيرة من ١١ إلى ١٣ سناتورا. أما عددهم في مجلس النواب فقد زاد من ٢٦ إلى ٣٠ نائبا و٦ منهم من الوجوه الجديدة. ويذكر أن النائب رحم ايمانويل لعب دورا هاما وحيويا في انتصار الديمقراطيين. ولا يستبعد أن يتولى النائب، الذي خدم من قبل في الجيش الإسرائيلي منصبا قياديا في الأغلبية الديمقراطية في مجلس النواب.

وكما جرت العادة فان مع تبديل الأغلبية تتبدل رئاسة اللجان، وبالتالي سوف يتولى السناتور كارل ليفين، الديمقراطي من ولاية ميتشغان رئاسة لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ، وهو الذي طالب منذ أيام بوضع جدول زمني لتحقيق انسحاب أميركي من العراق خلال العام المقبل. أما لجنة العلاقات الخارجية فسوف يرأسها السناتور جوزيف بايدن "من ولاية ديلاور" وهو من المطالبين منذ فترة بإعادة النظر في سياسة أميركا في العراق، وإيجاد حل سياسي وإقليمي للاستقرار المطلوب في العراق. أما رئاسة لجنة العلاقات الدولية في مجلس النواب سوف تكون من نصيب النائب المتشدد في ملفات الشرق الأوسط والمعروف بمواقفه المنحازة لإسرائيل توم لانتوس "من ولاية كاليفورنيا" والبالغ من العمر ٧٨ عاما.

وحسب الإحصاءات الأولية فان متوسط عمر النواب الجدد ٤٨ عاما. أما بالنسبة لأعضاء مجلس الشيوخ ٥٤ عاما. وهناك على الأقل ٢٩ من سلك المحاماة. أما أصغر النواب الجدد سنا هو كريس ميرفي "ديمقراطي من ولاية كونتكت" ويبلغ ٣٣ عاما.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن بعض النتائج في بعض الولايات لم تحسم بعد، وبالتالي قد يحدث بعض الإضافات لما يسمى بتركيبة الكونغرس.